جامعة الملك سعود
مركز الملك سلمان لدراسات تاريخ الجزيرة العربية وحضارتها
مجلة دراسات في تاريخ الجزيرة العربية وحضارتها (HSCA)
ردمد (ورقي): ٩٢٧٠ – ١٦٥٨
ردمد (النشر الإلكتروني): ٩٨٣١ – ١٦٥٨

King Saud University
King Salman's Center For Historical
and Civilization Studies Of Arabian Peninsula
Journal of Studies in the History and Civilization
of Arabia (HSCA)
ISSN: 1658-9270
EISSN: 1658-9831

مجلة دراسات في تاريخ الجزيرة العربية وحضارتها، مج(٢)، ع٢، ص١٥٧–١٦١، جامعة الملك سعود، الرياض (١٤٤٦هـ/ ٢٠٢٥م)
Journal of Studies in the History and Civilization of Arabia, Vol. 2, (2), pp157-161, King Saud University, Riyadh (1446 H / 2025)

عرض لكتاب
الإبـــل
(عطــايا الله)

د. محمود عبد الباسط
كلية الآثار – جامعة القاهرة
mabdelpasset86@cu.edu.eg

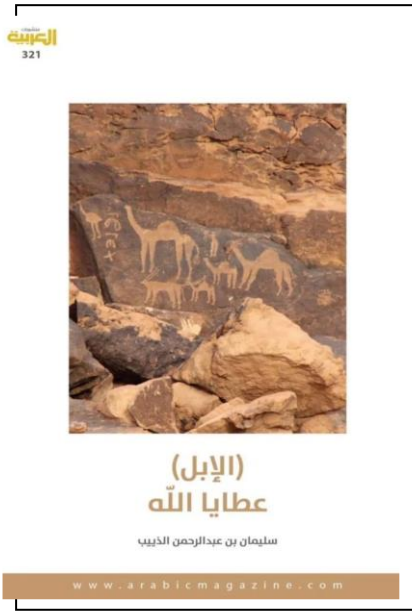

عنوان الكتاب: الإبل (عطايا الله)
المؤلف: أ.د. سليمان بن عبد الرحمن الذييب
الناشر: المجلة العربية (٣٢١)– الرياض
سنة النشر: ١٤٤٦هـ/ ٢٠٢٤م (الطبعة الأولى)
عدد صفحات الكتاب: ٢٧٢ صفحة
مقاس الكتاب: ١٦,٥×٢٣سم (قطع متوسط)
رقم الإيداع: ٣٢٢١/ ١٤٤٦
ردمك: ٩٧٨ –٦٠٣ –٨٣٢٠ –٧٦ –١

يُعدّ الكتاب الذي بين أيدينا **"الإبل عطايا الله"** من بين عشرات المؤلفات العلمية التي أعدّها أحدُ أبرز علماء الكتابات القديمة ليس في المملكةِ العربية السعودية فحسب؛ بل وفي وطننا العربي بأكمله، وهو الأستاذ الدكتور **"سليمان الذييب"** (المستشار الثقافي بمركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية– الرياض)، وهو من إصدارات المجلة العربية بمناسبة عام الإبل في المملكة العربية السعودية. ويأتي الكتابُ ليسدّ فراغًا كبيرًا في أحد الموضوعاتِ أو الرموزِ المهمّةِ التي ارتبطت بإنسانِ شبه الجزيرة العربية منذ عصور ما قبل

الإسلام ارتباطًا وثيقًا. وقد تضمّن مُدخلًا وأربعةَ فصولٍ، يسبق ذاك وتلك "بين يدي الكتاب"، ومرفق بكلٍ منها عددٌ كبير من النقوش العربية القديمة والأشكالِ والصورِ المُلوَّنة التي زادت من رونقِ الكتاب وقيمته.

استهل المؤلفُ كتابَه بـ **"بين يدي الكتاب"** [ص١٥- ١٦]، وقد أشار فيه إلى الدافعِ الرئيس من وراء تأليفه، والذي بدأ برغبةٍ شخصية في تقديمِ مشاركةٍ علمية (عرضًا مختصرًا عن الإبل في النقوش العربية القديمة ولا سيما الثمودية) ضمن الفعالية الثانية للمروية العربية، ذلك المشروع الكبير الذي وضعت لبِنَاته صاحبةُ السمو الملكي الأميرة "مها بنت محمد الفيصل"، ثم ظهر إلى النورِ بدعمِ ومساندةِ قائد مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية وربّانه صاحب السمو الملكي الأمير "تركي بن فيصل آل سعود".

يلي ذلك مدخلٌ [ص١٧- ٣٢] استَعرضَ فيه العلاقةَ الوثيقة بين العربي والجمل عبر العصور القديمة السابقة للإسلام واللاحقة، احتل فيها الصدارةَ في عقلِ العربي وقلبه؛ فراقبَه في جميعِ مراحله العمرية، ودفنه بعد مماته. ثم انتَقلَ إلى الحديثِ عن أقدمِ الشواهد الأثرية (من معثورات وبقايا عظمية وفنون صخرية) التي تؤكد معرفةَ الإنسان بالجمل داخل شبه الجزيرة العربية بصفة خاصة وفي منطقة الشرق الأدنى بصفة عامة، وهي دلائل ترجع إلى عصور ما قبل التاريخ. ومشيرًا بعد ذلك إلى أهم السمات الجسمانية التي تمتع بها الجمل فساعدته أنْ يكون سفينةَ الصحراء للنقل والمواصلات، وإلى الشرف الذي ناله هذا المخلوق العظيم بحديثه مع رسولنا الكريم ﷺ، ثم العناية التي لاقاها من العربي قديمًا وحديثًا، إلى جانب عدد من التوصيات التي دعا إليها المؤلفُ خلال مشاركاته العلمية سابقًا (مثل وجود هيئة ومتحف للإبل...وغيرها). وقدَّم تاليًا عددًا من الأدلة في محاولة منه للمشاركة بتقديم إجابة عن السؤال الرئيس المطروح دائمًا: متى بدأ استئناس الإبل؟ وكذلك سؤال: هل عُبِد الجمل أو قُدِّس عند العربي القديم؟

أما الفصل الأول الموسوم بـ **"المُتَحَجِّرات"** [ص٣٣- ٤٠] فقد خصّصه للحديثِ عن نماذجِ المتحجرات المكتشفة للجمل في مختلف أنحاء العالم، ومنها منطقة شبه الجزيرة

العربية (المملكة العربية السعودية والإمارات العربية المتحدة على وجه الخصوص)، ومن قَبلِها التعريف بمفهوم التحجر والعوامل أو الأسباب الطبيعية التي تؤدي إليه، علاوة على ما قدَّمه من منافع، إلى جانب تاريخ أقدم اكتشاف للمتحجرات.

يأتي الفصل الثاني **"الإبل في الفنين الصخري والجداري"** والذي يُعدّ أكبر فصول الكتاب من حيث عدد صفحاته [ص٤١- ٢٠٥]، وعناوينه الفرعية [ثمانية عشر عنوانًا]، ولوحاته المُلوَّنة [٢١٩ لوحة]، ليؤكد على المكانةِ العظيمة التي نالها الجملُ عند سكانِ شبه الجزيرة العربية، وسيطرته على ألبابهم وخيالِ فنانيهم بتصدره النسبة الكبرى -مقارنة بغيره من العناصر- في الأعمال الفنية (الصخرية والجدارية)، والتي تدل بعضُ مناظرها على معرفة العربي القديم للإبل بنوعيها (ذات السنام الواحد، وذات السنامين). وقد أجاد المؤلفُ توظيفَ اللوحات التي جمعها من مناطق مختلفة (المملكة العربية السعودية، سلطنة عُمان، الأردن، سوريا، العراق، مصر، ليبيا، الجزائر)- وإنْ كانت غالبيتها دون شكّ من الأولى بمواقعها المتعددة- فأشار إلى منحوتاتٍ فريدة تمثل الجملَ بأحجامٍ طبيعية، كُشِفت بأحد أهم المواقع الأثرية [الجوف- السعودية]، بجانبِ التعرفِ على كيفية تنفيذ نحت الإبل في الأعمال الفنية، والأساليب المتنوعة (منها التخطيطي/ الإطاري، النقر الكلي أو الجزئي) التي استخدمها الفنان/ النحات في ذلك، مع الإشارة إلى تفاوتِ هؤلاء الفنانين في تنفيذِ أعضاء الجسم، خاصة الرأس والذيل والخُف. وتُظهِر هذه النماذج المختارة على أية حال قدرة العربي ومهارته في تنفيذ أعماله.

انتقل المؤلفُ بعد ذلك للحديثِ عن هجْر البعير وعقْله والأسبابِ المحتملة وراء هذا الفعل، ثم اهتمام العربي بتزيين إبله، تلك الزينة التي أظهرتها فنونه على البدن والقوائم والرقبة والذيل والشدّاد، وهذا الأخير جنبًا إلى جنب مع الهودج قد أُفرِد له عنصرًا مستقلًا. واستعرض تاليًا بالشرح عددًا من اللوحات لتغطي جوانب من حياة الحيوان نفسه مثل الأمومة والغزل والتزاوج أو صراعاته مع بعضه البعض أو مع غيره من البشر أو الحيوانات الأخرى والطيور، وما قد يصيبُه من امتعاضٍ وغضبٍ أظهرته الصرخاتُ المُعبِّرة المُصوَّرة،

ومن بعدها علاقته مع صاحبه [القائد، السائس، الراعي] من خلال مناظر القيادة أو الرعي أو ممارسة الأنشطة الترفيهية (الرقص، والسباقات، والصيد) التي عرفها العربي القديم. كما خُصِّصَت عدةُ عناصرٍ [١٢، ١٤، ١٦، ١٧، ١٨] للحديث عن الأدوار والاستخدامات المختلفة للإبل وعلى رأسها دورها الاقتصادي المميز باعتبارها العمود الفقري للقوافل شريان التجارة والتواصل؛ فهي بمثابة سفن الشحن في وقتنا الحاضر، علاوة على ما خلقته كذلك من محطات تجارية ووظائف لسكان المنطقة وما انعكس بالتالي عليهم من ثروات وغنى، جنبًا إلى جنب مع استخدامها في الزراعة (الحرث) أو في أثناء الإنشاءات المعمارية (نقل الاحتياجات والمؤن)، وكيفية استفادة العربي من عظامها كألواح للكتابة عليها، ومن أوبارها لصناعة النسيج والخيام، ومن جلودها لصناعة قِرَب المياه والأكفان وغيرها. يضاف إلى كل ذلك دورها القتالي في الصراعات والحروب أو الغارات التي تحدث بين القبائل، دون نسيان تعرضها -هي ذاتها- للسلب والنهب أثناء تلك الهجمات القبلية أو هجمات قطاع الطرق واللصوص.

تناول المؤلفُ في الفصل الثالث **"الكتابات والنقوش"** [٢٠٧- ٢٢٣] من كتابه بعضَ المسميات التي أطلقها سكانُ منطقة الشرق الأدنى القديم (وعلى رأسهم الأكاديون والسومريون والآشوريون) على هذا الحيوان بنوعيه (ذو السنام والسنامين)، ومنها لفظة إبل (مع محاولة لتفسير جذور اشتقاقه) وحمار الأرض الصحراوية وحمار البحر والجمل ذو الحدبتين (أودرو)، علاوة على ما ورد في القرآن الكريم من ألفاظ ارتبطت به، وما ذكرته الكتابات القديمة بخطوطها ولهجاتها ولغاتها المختلفة في شبه الجزيرة العربية والمناطق الحدودية المجاورة (العربية والآرامية والسريانية)، مشيرًا إلى عددٍ من النقوش (الثمودية والصفائية) التي تضمنت ما يفيد ملكية أصحابها -ذكورًا وإناثًا- للإبل، علاوة على تقديمها كنوع من الإهداءات.

يلي ذلك الفصل الرابع **"المعثورات"** [٢٢٥- ٢٥٧] بما تضمنه من لقى أثرية تؤكد على أنَّ الجمل لم يقتصر ظهوره في الأعمال الفنية الصخرية والجدارية؛ بل صُنِعَت بعضُ

الأدوات المعدنية والحجرية والفخارية والطينية (تماثيل، ولوحات، وألعاب، ومباخر، وعملات....إلخ) بهيئته أو على الأقل زُيِّنَت بصورته. كما كانت دفناتُه مع صاحبِه أو في مقبرةٍ مستقلة مجاورة دليلًا جليًا على اعتزاز العربي القديم -كغيره من جيرانه في منطقة الشرق الأدنى القديم- بإبله، وحرصه على أنْ تكون رفيقتَه في الحياة الآخرة. اختتم المؤلفُ كتابَه بقائمةِ المصادر والمراجع العربية (٩١) والأجنبية (٢٠) وعددٍ من المواقع الإلكترونية التي اعتمد عليها.

وأخيرًا فإنَّ هذا الكتاب بمعلوماتِه وأشكالِه ولوحاتِه -التي قاربت الثلاثمائة- وما بذله فيه مؤلفُه من جهدٍ كبيرٍ، يُعدّ إضافةً علمية للمكتبةِ العربية في المجال الأثري- التاريخي عن أحد العناصر القيّمة التي ارتبطت بالعربي القديم؛ بل وأصبحت رمزًا يدل عليه خاصة في العصر الروماني، وهو الإبل التي كرمّها الله سبحانه وتعالى بذكرها في القرآن الكريم في عدةِ مواضع. كما يُعتبر مرجعًا مهمًا للمختصين، وكتابًا نافعًا مفيدًا لغير المتخصصين للتعرفِ على ما لاقاه هذا المخلوق العجيب من اهتمامٍ عند الأجداد بما قدمَّه لهم من منفعة كبيرة في جوانب حياتية مختلفة، الأمر الذي قد يدفع إلى زيادةِ الاهتمام به -وبغيره من رموز أخرى- عند الأبناء والأحفاد.

ولا أدعي كمالَه فهو شأن أي عملٍ بشري آخر لا يخلو من بعض الهنات أو الهفوات التي لا تُقلل من قيمتِه على الإطلاق، وأتمنى من الأستاذ الدكتور **"سليمان الذييب"**، وهو المعروف بسخائه، أنْ يستمر في هذا العطاء ويتحفنا من حينٍ إلى آخر بمثل هذه الأعمال العلمية القيّمة؛ إذ إنّنا -دون شكّ- في وطننا العربي في حاجةٍ ماسةٍ إلى مثل هذه المؤلفات التي نستقي منها معلومات عن تراث الأجداد؛ وذلك من أجل معرفة ماضينا وهويتنا وقوميتنا واستشراف مستقبلنا؛ فلا حاضرَ لأمةٍ دون رجوعِها إلى ذاكرتِها وتراثِها الحضاري والتاريخي والثقافي ونفض الغبار عنه لإحيائه من سباتِه العميق وبعثه للحياة من جديد. ويعتبر إهمالُه وطرحُه في دهاليز وغياهب النسيان جريمةً في حقِّ الأمة وإهدارًا لمجهود سلفها وإضاعةً لمجدها.